

مصطفى محمود

أكتوبية اليسار الإسلامي

المكتبة العربية

www.tipsclub.net
دار المعارف
amly

مصطفى محمود

أكذوبة اليسار الإسلامي

الطبعة الثانية



دار المعارف

تاريخ الماركسية مع الدين

تاريخ الشيعة مع الذين أصبح منهم يستعمل
باللعبة الماركسية في أصل منهجه يرفض الدين والقيمت ولا
إرادة أو مشيئة خارجة عن الكون المادي ، ويرى أن الكون المادي
نفسه يفسد بدون حاجة إلى القواصم قوة إلهية حابطة على التو
وأكثر من ذلك يرى أن الدين عبث في سبيل التطور وأنه القوي
ونريد رجعية معطلة تروى بالطبقات الكائنة إلى الزمان والبناء
على حداثتها ، في انتظار حثات وهيبة في الآخرة ، وأن الذين هم
الطبيعي للإقطاع والرأسمالية وأنه يعطي الأخياء مبدأ شرعياً
حين يقود الفقراء بفقيرة لا تفكاه منها . . . ولما بدأ تاريخ
بالجولة على الدين وهل رجال الدين اليوم يتفانون الكائنات واعتدا
وطاعة السامية وألقى عليهم الذين من الماديين واستبداد حذرهم
ويعمل من الإلحاد شبهة أساسية للعبث في القلوب . . . ولا
غير الخيال حتى واجه متناهي مشكلة مشيئة في حركته مع
قلت جميع المؤلفات التي جرت في القلاع الرئسية بعض

ويول الأدهار . فلماذا يحارب ولماذا يموت إذا كان قائده الأعلى يقول له . . إنه لا آخرة ولا بعث بعد موت . . ولا امتياز لشهيد على حائن، وإنما الكل ذاهب إلى التراب . . ثم يدافع عن ماذا وعن من . . والشوعية مذهب الدولة الرسمى ترى أن الوطنية رجعية والقومية تخلف فليذهب كل شيء إلى الجحيم إذن.. ما دام الشجعان والجبناء قد استولوا في رقدة الموت التي لا قيام بعدها ولا حساب ولا سؤال ولا كرامة:

أمام هذا التخاذل الخطير رأى ستالين نفسه مضطراً ليعيد الحماس إلى هذا الفلاح أن يعود فيعرف بالوجود الضروري للكنيسة وأن يفتح أبواب الكنائس للصلاة، وأن يرفع الاضطهاد عن رجال الدين وأكثر من هذا يشجع الشعور الوطنى والقوى . . فعل هذا مضطراً برغم تناقضه مع جوهر تفكيره كشيوعى ماركسى .

وتغيرت التعليمات القادمة من موسكو إلى جميع الخلايا السرية في كافة البلاد بعدم فتح معركة مع الدين وبالتنبيه على الجميع بتريد الجواب التقليدى . . إن مسألة الدين غير مطروحة في الأيديولوجية الماركسية . . وأن الشيوعية لا تتعرض لمسألة وجود الله . . وإنما هدفها قضية العدل الاجتماعى ومحاربة الاستغلال . . وأن الأمية ليست ضد الوطنية .

ثم خطت الشيوعية بعد ذلك خطوة أكثر إيجابية حينما وجدت أن هذه السلبية من جانبها لم تثمر المهادنة المطلوبة بينها وبين الدين فسمعتنا عن بعثات للحج تخرج من موسكو وسمعتنا عن الرقيق بمحمدوف يلقى خطبة الجمعة من مسجد أربكستان وقرأنا عن المفتى عبد الرحمانوف يهدى مصحفاً شريفاً إلى هذا الزائر المسلم أو ذاك .

ثم رأيناهم لا يكتفون بمحاولة التودد للمسلمين، بل رأيناهم يتجاوزون هذا إلى محاولة الزواج السفاح بالإسلام، فسمعتنا عن الجماعة الماركسية الإسلامية في إيران ثم رأينا الرفاق الحجاج في مصر وعلى رأسهم الحاج خالد محيي الدين يقودون المسيرة الماركسية وقد لبسوا لنا لباساً وقرأنا لفلاسفتهم يكتبون عن اليسار في الإسلام . . وأصبح الشعار الجديد . . نحن نختلف مثلكم مع الفلسفة الماركسية ولكننا نؤمن بالمنهج الماركسى الاجتماعى وهو لا يتعارض مع الدين . . فتعالوا يا إخوان إلى كلمة سواء نأخذ من ماركس ما يوافقنا ونذع ما يتناقض وراثتنا وتقاليدنا . ونسى الرفاق أو تناسوا أن الماركسية فكر شمولى إذا أخذت بعضه ورفضت بعضه فقد هدمته لأنه كل مترابط متماسك . . ثم ماذا نأخذ وماذا ندع إذا كان صلب المنهج الاجتماعى الماركسى وهو « ملكية الدولة لوسائل الإنتاج » وهو ما نعرفه عندنا بالتأميم والقطاع العام قد جربناه وطبقناه وانتهى باقتصادنا إلى الخراب . . فإذا رفضنا هذا البند وعدنا إلى الانفتاح وسمحنا بالاستثمار الفردى واعترفنا بالقطاع الخاص كضرورة لا يتوازن الاقتصاد بدونها . . فإذا بقى من المنهج الماركسى لنأخذ منه ونذع . . وماذا يتبقى لنا ولكم من علاقة بهذا الفكر .

ولكنها مخادعة . . وتمويه . . ومهادنة مؤقتة . . سببها العجز والفشل والعقم الأيديولوجى وهزيمة الماركسية في جميع المواقع التي التحمت فيها بالدين . . فلم يبق لها إلا تغيير الملابس والتمويه بالشعارات واستبدال العداوة القديمة بالغرمايات المتعقلة . . أو ما يسمونه في قاموسهم بأسيراتيجية المرحلة . . وهو اللفظ الجديد المذهب للنفاق والانتهازية

والتدليس والكذب بهدف الوصول . . ثم بعد الوصول تكون تصفية المواقف وتصفية الأشخاص . . كعادة الشيوعية في كل تاريخها . .

ومن المؤسف أن نجد إلى الآن وبين مثقفينا في الوطن العربي من يروج للفكر الماركسي ويدعوله برغم ما تبين من هزاله وتناقضاته وثغراته وبرغم ما حدث من غروب هذا الفكر وانقراضه في أوروبا مع الأفكار الأخرى التي غربت وانقرضت مثل الفرويدية والوجودية والعشبية وسائر الموضات التي لمعت واختفت في الأربعينات من هذا القرن .

ولكن على ما يبدو لي دائماً أن الأمر مع الماركسية مختلف . . فالشيوعي لا يدعو للماركسية لأنها حق ولكنه يدعو لها لسبب آخر أعمق وهو أنها توافق هواه ورغبته الباطنة في أن يهدم ويثأر ويتقمم . . فهي تلتقي مع ميوله العدوانية ومع بذور الحقد في نفسه خاصة إذا كان فقيراً مطحوناً وفي أدنى السلم الاجتماعي ويحلم بالقفز إلى أعلى السلم بانقلاب يغير به كل شيء . . فحماسه للمذهب حماس شخصي وإن بدا في الظاهر حماساً اجتماعياً .

وأحياناً يكون الشيوعي مثالياً مخدوعاً ، بهرته شعارات العدالة ونصرة الفقراء ولم يسعفه تخلفه العقلي في اكتشاف الخدعة .

وأحياناً يكون من المرضى بانفصام الشخصية وهؤلاء هم الحجاج الذي يسجدون إلى كعبة مكة وكعبة موسكو في الوقت نفسه ويتعاملون مع الله بأسلوبيين ويتكلمون بلغتين وكأن الواحد منهم اثنان لا يعرف الواحد منهما الآخر .

ولا أعرف إنساناً يصلي في الصباح لمن ينكر في المساء إلا هذا

الحاج الشيوعي الخادع المخدوع الذي افتقد الوحدة والوجهة والطريق وانقسم على نفسه ، فهو يسبح بقلبه لمن يرفض بعقله وهو يؤمن بالشيء ويتصرف على نقيضه ، وهو يدور حول جثمان لينين المحنط في الكرملين نبههم الذي غير التاريخ ويقول في الوقت نفسه لا إله إلا الله لا سواه يغير التاريخ . . فكيف بهذا الولاء يجمع بين لينين ومحمد في قلب واحد وكل منهما يمثل منهجاً يرفض منهج الآخر ابتداء وانتهاء . . إلا أن نكون أمام سيد المنافقين في هذا العصر . . علم بذلك أم لم يعلم أدرك ذلك في نفسه أم لم يدركه . .

فهؤلاء هم مرضى القلوب . . وهم أهل الشرك الخفي . .

وهم إحدى ثمار هذا الغزو الفكري المحموم في بلادنا من سنين . والمعركة سائرة إلى ذروتها . .

والتاريخ يسير إلى ما خطه الله في كتابه وليس إلى ما خطه ماركس في منهجه الجدلي .



شر أنواع الافتراء الذي يروجه الشيوعيون هو القول بأن الإسلام يسارى أو أنه بدأ يسارياً على يد محمد عليه الصلاة والسلام ثم انشق إلى يمين ويسار فأبو بكر يمين وعمر بن الخطاب يسار ثم تغلب الاتجاه اليميني على يد التابعين من أمويين وعباسيين وانتهى بالإسلام إلى ملك رجعى عضوض وإلى يمين محافظ متخلف .

وهو نوع من التلبيس الساذج ومحاولة لركوب الإسلام وتطويعه للأغراض المادية الجدلوية ومكائدها ومحاولة لاصطياد الشباب الإسلامى (خاصة المتحمسين منهم للإسلام عن جهل) إلى شرك العصبية اليسارية .
والقول بأن أبا بكر كان يمينياً وعمر بن الخطاب كان يسارياً كالقول بأن أبا بكر زملكاوى وعمر بن الخطاب أهلاوى ، فكلمات يمين ويسار كلمات جديدة ولم تكن لها مدلولات فى قریش ومحاولة تأصيل معنى كلمة يسار بأنه أية ثورة تستهدف التغيير الاجتماعى نرد عليه بأن الإسلام لم ينزل كثورة تغيير اجتماعى وإنما جاء كدعوة تذكير بالعقيدة التى نزلت على آدم وعلى جميع الأنبياء ثم تقادم عليها

وكذلك قاله السبيل النجيب



العهد كل مرة وحرقها المحرقون . . فالإسلام عودة إلى العقيدة التي نزلت على آدم وتذكير بالتوحيد وتعريف بالله وصفاته وأسمائه وأحكامه وشرائعه . . وليس الإسلام أبداً ثورة تغيير اجتماعي وإلا كان محمد العظيم صلوات الله وسلامه عليه هو مجرد جيفارا أو كاسترو أو لينين (وهو ما يريدونه وما يلبسونه علينا) .

والعدالة الاجتماعية في الإسلام هي نتائج تأتي بالتبعية للتوحيد وتقوى الله وطاعة وصاياه ولكنها ليست جهر التنزيل .

وبهذا المعنى لا يكون الإسلام ثورة تغيير بل كلمة تذكير وتثبيت للقديم الأزلي وعودة إلى كلمة لا إله إلا الله الأولى في صفائها . فلا يسار هنا حتى بالمعنى التأصيلي لكلمة يسار . . وأيضاً لا يمين . . لأن اليمين واليسار كليهما نبات الأهواء والمصالح البشرية . . أما الدين فهو تنزيل إلهي لا يتبع هوى أحد ولا يتملق البروليتاريا ولا يجامل عاملاً أو فلاحاً ولا يحرض أحداً على أحد . . بل هو يتكلم عن الصراط الحق . . الصراط المستقيم . . صراط الاعتدال بين جميع المتناقضات ، تلك الصراط الذي ينحرف من يخرج عنه باليمين كما ينحرف من يخرج عنه باليسار .

ثم إن ثورات لينين وجيفارا وكاسترو وغيرهم من أئمة المكر البشري كانت كلها تحاول أن تنصف الفقراء بالانتقام من الأغنياء . وكانت كلها دعوات تحريض لتذبح الطبقات بعضها بعضاً . . والعدالة في تلك الثورات لم يكن لها من سبيل إلا نزع الملكيات والمصادرة واعتقال وفرض الحراسة والتعذيب ، ولذلك انتهى الإصلاح الاقتصادي في كل منها إلى الأنهيار الاقتصادي لأن الانتقام من القلة النشطة

المنتجة أدى إلى هجرتها وتركها للميدان والحرب بجلدها وبخبراتها وترك البلاد تستغلها طبقة جديدة من أعضاء الحزب وألوف الموظفين الكسالى الذين فقدوا الحافز فأخذوا إلى النوم في مكاتبهم . . وبذلك هبط الإنتاج . . وانتهت الثورة إلى شعارات فارغة .

أما العدالة الاجتماعية في الإسلام فسيبلها مختلف تماماً . . فهي لا تنتصف للفقراء بالانتقام من الأغنياء . . ولكنها تحاول أن تحيي ضمير الأمة وتحاول أن تنشر المحبة والإخاء فتجمع ولا تفرق وتوحد ولا تشتت وتشجع ولا ترهب ، فهي تعالج الأمر من جذوره بأن يضع الغنى يده في يد الفقير ويدفع عن رضى واقتناع حقاً معلوماً من ماله زكاة وإنفاقاً وضرائب . . دون أن يتعدى عليه أحد بتزاع ملكية أو فرض حراسة أو اعتقال أو امتهان أو تعذيب .

والفرق بين الإسلام والشيوعية هو الفرق بين الحلم والسفاهة . . هو الفرق بين السماء والأرض . . بين التنزيل الإلهي والطاغوت البشري . . بين صفاء النبوة المهمة وخبث المكر المغرض . . والحق أنه لا يوجد وجه تقارب ولا وجه شبه بين الاثنين .

ومحاولة التخليط في المفاهيم وركوب موجة الإسلام والهاثف بشعاراته أو تلبسه تلك الشعارات الدون من يمين ويسار هي لون آخر من ألوان التدليس .

ثم لا أدري لم يتماحك أصحابنا الرفاق المراكسة اليوم بالاسلام فيلبسون شعاراته مرة ويلبسونه شعاراتهم مرات .

أليس ذلك دليلا على كساد بضاعتهم ، وعلى أنهم لم يعودوا قادرين على الترويج لفلسفتهم ، وعلى أنهم أدركوا أن سوق هذه الفلسفة قد كسد وانتهى إلى البوار التام . . وأن ثغرات المذهب قد افتضحت . . فلم يعد لهم إلا لبس الأفتنة والتنكر وانتحال الأفكار وتخليط المفاهيم والتسلل إلى القلعة الوحيدة الصامدة من داخلها ومحاولة دخولها في زى الدراويش والمريدين لتخريبها من الداخل .

أليس هذا هو دأب الطليعة الجديدة من الرفاق الحجاج .

لاهم تقدميون
ولا علميون
ولا موضوعيون



[illegible]

ولو أنه كلف نفسه عناء التفكير . ولو قليلاً من التفكير . لتغير حكمه كثيراً .

فإذا تعنى كلمة يسار في بلادنا مثلاً . .

ودعونا نفكر ، في حياد شديد .

إن كلمة يسار في بلادنا وفي كل بلاد العالم وفي قاموسها الأصلي تعنى في أقصى حالاتها الوصول إلى العدل بحل جذرى ووسيلة جذرية وذلك بانتزاع رأس المال من أصحاب رأس المال وانتزاع الأرض من أصحابها والمصانع من ملاكها وانتزاع ملكية وسائل الإنتاج من كل يد منتجة . . ليكون كل هذا ملكية دولة لا ملكية أفراد ويكون كل الشعب موظفين في هذه الدولة . . وهو ما نسميه عندنا بالتأميم أو القطاع العام . . ومعناه ببساطة أن يحول الحاكم الشعب بأسره وبجرة قلم إلى عبيد سمة . . لقمتهم جميعاً في يده . . ورزقهم في يده . . وحريتهم بالتالى في يده . . وبذلك يحول الجميع إلى قطيع بلا رأى وبلا حول وبلا طول . . وبلا جرأة في شئ وبلا حافز إلى شئ .

وما تلبث أن تنتهى هذه المؤسسة العامة إلى مجتمع من اللامبالاة والكسل وفقدان الهمة والإهمال وسوء الإنتاج ويصبح حالها تماماً مثل حال الأرض الوقف وهو ما نرى صورته حولنا في كل مرافق القطاع العام والنتيجة هبوط الإنتاج في النوع والكم . . ثم انقلاب الآية فإذا ما تصوره الفلاسفة اليساريون على أنه حل اقتصادى ينتهى إلى العجز الاقتصادى . . فلا نجد علاجاً سوى العودة إلى الانفتاح وإلى مد الأيدي إلى القطاع الخاص وإلى إغراء المستثمر الفردى من

الداخل ومن الخارج . . نفعل ذلك في بلادنا . . ويفعلون هم أيضاً ذلك في بلادهم روسيا . . وفي رومانيا والمجر وبولندة ويوغوسلافيا وفي كل معاقل اليسار . . يعود الكل فيأخذ خطوة واسعة إلى اليمين .

إذن لم يكن اليسار هو الحق .

ولم يكن اليسار تقدماً بل كان تخلفاً . . لم يكن نظرة مستقبلية وإنما نظرة متعصبة وغبية .

ولم يكن ازدهاراً اقتصادياً . . بل انهياراً اقتصادياً .

ثم ماذا يعنى اليسار أيضاً . .

إنك لا يمكن أن تتزع الأرض من أصحابها والمصانع من ملاكها ووسائل الإنتاج من يد كل منتج دون أن تستخدم الجيش والبوليس وتسجن وتعتقل وتشرد وتهدد وتضرب بيد من حديد .

ومن هنا كان القهر والعنف والنظم القمعية من خصائص اليسار .

ثم إنه في بلد صغير مثل مصر لا يمكن أن تفعل هذا دون أن تعتمد على معونة دولة كبرى مثل روسيا فتدعو إلى بلدك النفوذ الروسى والأموال الروسية والخبراء الروس ثم ترسف في النهاية في الديون الروسية والضغوط الروسية والشروط الروسية . .

ثم تكتشف بعد فوات الأوان أن روسيا ليست دولة أيديولوجية بقدر ما هى دولة كبرى تتصرف بمنطق الدولة الكبرى ذات المصالح . وأنت أمام استعمار من نوع جديد . . استعمار مذهبي عقائدى يؤلب عليك أهلك . . ويحرض الأخ على أخيه والأبن على أبيه ويزرع الحقد

والحسد والبغض والكراهية في طريقك ويضع لك الشوك في حلقك .
ذلك هو المضمون الخافي داخل كلمة اليسار . . وفلان
« يسارى » يعنى أنه سوف يأتى لك بكل هذا البلاء . . فليس اليسار
تقدماً ولا الشيوعية تحريراً وإنما هى أكاذيب صدقتها من فرط
ما ردها أصحابها وأمعنوا في تكرارها على مسامعنا وطبعوها روجوها
وهتفوا بها وحلفوا بها ونسجوا عليها الروايات ودبجوا المقالات وألفوا
المسرحيات . . وهى أكاذيب في أكاذيب في أكاذيب . .

وحيثما تحرك اليسار في بلد تحرك معه الحراب وسال الدم . . في
أنجولا في البرتغال في أسبانيا في نيجيريا في تايلاند في لبنان في الحبيشة
وفي القاهرة في أحداث ١٨ ، ١٩ يناير .

مظاهرات اليسار في عهد دييجول أشرفت بالاقتصاد الفرنسى
على انهيار كامل . . وإضرابات العمال في إنجلترا هبطت بالإسرتلنى
إلى الحضيض .

واليسار في أى بلد يعيش على ما يتيح النظام من حريات فإذا
تسلم هو زمام الحكم صادر الحريات وقطع الألسن ومأى المعتقلات
وأعطى جميع الأبواق لصوت الحزب وحده .

واليسار يحارب الحرية في بلده كما يحاربها خارج بلده .

الدبابات الروسية دكت صوت الحرية في المجر وخنقت صيحة
الديموقراطية التى أطلقها دوبتشك في تشيكوسلوفاكيا .. لأنه لا شئ
يفضح كذبة اليسار والشيوعية مثل الحرية والفكر الحر والنقاش الحر .

وليس صحيحاً أن المعسكر الاشتراكى هو جنة العمال والمعسكر
الرأسمالى هو جحيم العمال . . فتلك كذبة أخرى . . فالعمال في
أمريكا وإنجلترا والنمسا والسويد والنرويج وألمانيا يتقاضون أجوراً أعلى
ويعيشون في مستوى من الوفرة والرخاء أعلى من رفاقهم في روسيا والمجر
وبولندا والصين .

والعمال في البلاد العربية يهاجرون من البلاد الاشتراكية سعيّاً
وراء أجور أعلى في الخليج والسعودية والكويت وهى البلاد التى يقول
عنها أصحابنا إنها رجعية .

تلك هى الحقائق . .

ولا يجدى في تزييف هذه الحقائق ألوف المنشورات ولا تجدى
أبواق الإذاعات الموجهة . . ولا تجدى أغاني المرتزة . . ولا أشعار
الرفاق التى تصف الأبيض بأنه أسود . . وتهلل للميت على أنه حي . .
ونحن ولا شك نعيش في عصر التزييف والمزيفين ، ونروج لونا
جديداً من الدعاية بالكلمات والزنا بالمعاني والمسافحة بالحروف .

وهل دعوى أصحابنا بأن الدين أفيون الشعب إلا لونا صارخاً من
هذا الزنا بالألفاظ ؟

وهل الدين إلا ذروة اليقظة والانتباه .

وماذا يكون حال المسلمين الذين يقول لهم ربهم : (وإن تبدو
ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله) ٢٨٤ - البقرة .

ماذا يكون حال مثل هؤلاء المسلمين إلا الخوف الدائم واليقظة

الدائمة والانتباه الدائم لكل خاطر يخطر في القلب . . فهذا هو الله يحاسبهم على مواطن النيات كما يحاسبهم على شواهد الأعمال .
فأين لهم النوم . . .
وأين هم من سكرة الأفيون .

إنما المساطيل حقاً وأهل الغفلة هم الذين يعيشون في خدر الأوهام الباطلة هم أهل المذاهب المادية من شيوعيين وغيرهم . . ممن تصوروا أن لا شيء وراء هذه الحياة ولا شيء بعدها فإن غنموها فقد غنموا كل شيء ولو بالقتل وسفك الدماء فلا حسيب من بعد ولا رقيب .
وهؤلاء هم الذين يعيشون في خدر الأفيون حقاً . .
وهؤلاء هم الذين خدرتهم أطعمتهم وأهواؤهم وشهواتهم .
وهؤلاء هم الذين أعمتهم أحقادهم وأضغانهم فتصوروا أنه لا وجود لأي شيء وراء هذه الأحقاد والأطماع . حسبهم لحظتهم فليعيشوها . . أو فليسرقوها . . ثم لا يعبأوا بشيء بعد ذلك . .
وتلك هي طمأنينة الغفلة وراحة الأفيون وسكينة آكلي المخدرات .
وتلك هي حبوب الميرون التي يروجونها .

ومن أكثر الأكاذيب شيوعاً . . قولهم الدائم الدائب . . بأن الماركسية علم ودعواهم بأن كلامهم هو الكلام العلمي وفكرهم هو الفكر الموضوعي وإطلاقهم وصف الاشتراكية العلمية على مجموعة الأفكار الظنية والمنشورات التحريضية التي يروجونها .
ولم يكن كارل ماركس علمياً حيناً انتقى من التاريخ بضع مراحل على هواه ولفق منها مذهباً طبقه اعتسافاً على التاريخ كله . . وكان

حاله مثل حال اليهودي الآخر فرويد الذي أخذ من دفتر الهستريا بضع حالات، ولفق منها مذهباً في الغريزة الجنسية طبقه اعتسافاً على كل الأصحاء الأسوياء من البشر فجعل من البشر مجموعة من القروء تلهو بأعضائها التناسلية في جبلاية ، كما تصور شقيقه الآخر كارل ماركس عجلة التاريخ تحركها يد الصراع الطبقي .

وتعمد كارل ماركس إسقاط مراحل كاملة من التحول التاريخي لأنها ناقضت مذهب . . فهل كان علمياً في استقرائه .

لقد قال ماركس إن كل انقلاب حضارى يأتي نتيجة انقلاب مناظر في نظام الإنتاج وعلاقات الإنتاج .
فأين هذا الكلام من التحول الإسلامى .

لقد كان الإسلام انقلاباً حضارياً هائلاً . . ومع ذلك لم يأت نتيجة انقلاب مناظر في نظام الإنتاج وعلاقات الإنتاج في قریش .
وإنما جاء كظاهرة فوقية مستقلة عن البيئة . . وهو بذلك يهدم كل الفكر الماركسى من أساسه . .

جاء الإسلام من البداية مقررّاً المساواة في الفرص ، وضمان حق الكفاية للمواطن وتحقيق التوازن الاقتصادى بين الفرد والمجتمع وجاء بمبدأ الملكية الخاصة والملكية العامة ومبدأ الاقتصاد الحر الموجه . .
وجاء بكل ذلك في الجزيرة العربية في وقت لم تكن ظروف الإنتاج تدعو إليه بحيث يمكن أن نقول إن ما حدث كان انبثاقاً من واقع اقتصادى . . وتحدى بذلك الماركسية ومنهجها التاريخي وحساباتها المادية

التي تحتم انبثاق كل انقلاب سياسى من انقلاب مناظر فى نظام الإنتاج وعلاقاته .

فأين العلم فى كلام أصحابنا .

نحن أمام تلفيق أطلق عليه أصحابه وصف العلم ووصعوا عليه بطاقة الاشتراكية العلمية زوراً وبهتاناً .

ثم إن فكرة العامل الاقتصادى الواحد الذى جعل منه ماركس لها تصدر عنه الأشياء وسبباً وحيداً تتداعى من ورائه كل التغيرات التاريخية فيما يسمى بالتغير المادى للتاريخ . هذه الفكرة سقطت علمياً والرأى السائد الآن فى ميدان الظواهر الاجتماعية أنه لا يوجد سبب واحد مستقل وفعال وإنما هناك عوامل متعددة ، تؤثر فى بعضها تأثيرات متقابلة فالعامل الجوهرى اليوم يمكن أن يصبح عاملاً ثانوياً فى الغد . . . والعامل الاقتصادى بهذا لا يصلح أن يكون إلهاً تصدر عنه الأشياء .

ثم إن افتراض النقاء والطهر فى طبقة البروليتاريا (العمال) كأنهم جنس آخر قادم من المريخ أو شعب الله المختار بحيث سلم إليهم مقاليد حكم مطلق هو كلام غير علمى . . فالعامل والمثقف مالك الأرض فى بلدنا هم غالباً أفراد أسرة واحدة ومن بطن واحد . .

ثم إن الماركسية التى أراد ماركس أن يواجه بها ظروف القرن التاسع عشر المتخلفة وأوضاع العامل البدوى الكادح المطحون لا تصلح علمياً

لمواجهة ظروف القرن العشرين حيث قلبت ثورة التكنولوجيا جميع الموازين وخلقت طبقة جديدة من العمال المرفهين الجالسين أمام أزرار الكترونية ومن خلفهم نقابات عمالية قوية وقوانين للتأمين تحميهم ضد العجز والشيخوخة والمرض .

ثم هذه الدعوى الزائفة للماركسيين بحتمية قوانينهم ، وكأنها قوانين منزلة من اللوح المحفوظ هى دعوى أخرى غير علمية فلا حتمية فى الإنسانية .. وإنما هناك على الأكثر عناصر ترجيح وظن وتخمين واحتمالات متفاوتة . . ولا حتمية إلا فى حركة الأفلاك والكواكب وكرات البلياردو وتروس الساعات والمادة الصرفة . . . وحتى المادة الصرفة ظهرت قوانين جديدة تخرج حركة الألكترونات فيها من إसार الحتمية إلى مجال الحرية والاحتمال (قوانين هيزنبرج) .

ثم إن دعوى الماركسيين بأن فكرهم شمولى يجابى على كل سؤال ويفتح كل باب ويحل كل مشكل هو زعم فضفاض وغير علمى وهو مؤسس على الغرور والتعصب أكثر منه على النظر الموضوعى . . .

ثم ماذا تعنى المادية الجدلية بالمادة .. إنها لا تعنى الحديد أو النحاس أو الزئبق أو الخشب وإنما هى تفهم المادة فهماً تجريبياً بأنها كل ما هو خارج الذات . . يقولون بهذا مع أنهم ضد التجريد .

ثم من أين جاءوا بأن المادة سبقت الفكر فى مبدأ الكون . . ومن كان منهم حاضراً فى مبدأ الكون ليزعم أن شهادته علمية . . إنهم ما قالوا ذلك إلا رجماً بالغيب مع أنهم يصرخون بأنهم ضد كل

غيب وغيبية .. ثم إذا قالوا إن المادة قديمة وبأنها جاءت بلا خالق ..
ألا يسقطون بذلك قانون السببية ويسقطون بالتسوية العلم كله الذى يقوم
على السببية .

إن ماركس لم يقدم علماً .. ولا كانت اشتراكيته علمية ..
ولا أفكاره موضوعية .. وإنما قدم ظنوناً واصطنع تلفيقاً بهدف
التحريض والتهييج لقلب النظم الموجودة ..

ولهذا أخطأت جميع تنبؤات كارل ماركس وأخطأت حساباته
فلم تخرج الشيوعية من إنجلترا المتقدمة صناعياً ، وإنما خرجت من
الصين الزراعية وروسيا المتخلفة .. ولم ينقسم المعسكر الرأسمالى وينهار
ويتناقض وإنما انقسم المعسكر الاشتراكى نفسه وتناقض وتصارع ..
ولم تتفاهم الحوة بين العمال الكادحين وأصحاب رؤوس الأموال المرفهين
بل ضاقت .

ولقد أخطأ ماركس فى تنبؤاته لأنه لم يكن علمياً فى حساباته .

ولو كانت الماركسية علماً ثابتاً فلم اختلف فيها الأنبياء وتناقضوا
وتقاتلوا ولم خرج الستالينى واللينينى والماوى والتيتوى والناصرى وراحو
يضرب بعضهم بعضاً ويعتقل بعضهم بعضاً .

والعجيب أنك إذا حاصرت الشيوعى المحترف بكل هذه الحجج
العلمية القاطعة الدالة على فساد مذهبه فإنه لا يقلع عنه بل يزداد عناداً
فيه ويزداد لجاجة وإصراراً وعى وتعبساً .. ثم تكتشف فى النهاية
أن هذه العلمية المزعومة ما هى إلا قناع كاذب يلبسه الأنبياء والمروجون
والمهيجون وأن حقيقة الشيوعية ليست علماً ولا فكراً وإنما هى طبع

وحقد دفين وثار كمين يبحث عن مبررات ولغة مقبولة يظهر بها .

الشيوعية هى فكر فى الظاهر ولكنها خلق مادى فى الحقيقة
وغلظة مادية وجاهلية لا تختلف عن جاهلية قريش .. ولهذا تنتهى
المواجهة دائماً بإبراز السلاح والقتل والدم .. ولهذا تلجأ الشيوعية
دائماً إلى الأساليب التحتية والتآمر والتدبير فى الخفاء حتى ولو توافر
لها الجو الحر واللقاء المفتوح .. ولهذا تلجأ إلى الغوغاء وتضبطهد المثقفين

ولهذا تراجعت الأحزاب الشيوعية فى مؤتمرها الأخير بجنيف
وساومت وتنازلت .. تنازلت حتى عن أحشائها وساومت حتى فى
جوهر فكرها .. تنازلت عن دكتاتورية البروليتاريا وتنازلت عن الأممية
وسمحت بالقوميات .. ولم تكتف بالتنازل عن عدائها التقليدى للدين
ولمّا اعتنقت الدين ولبست مسوحه فعلت كل هذا من أجل الوصول
إلى الحكم بأى سبيل .. وقالت للأنبياء :

الوصول إلى الحكم بأى سبيل ولو بتغيير جلدنا ..

فهل هؤلاء هم أهل العلم الحق .. أو أهل الانتهازية والميكافيلية
والوصولية وعشاق السلطة والسفاحون الجلد من كل الملل والنحل .

أقول هذا لشبابنا البرىء المخدر بالشعارات الذى يسير بحسن نية
وراء دعوى العلمية والتقدمية .. والأمر أبعد ما يكون عن العلمية
والتقدمية .. بل هو فى الواقع جاهلية مادية وتخلف ذهنى وتآمر مكر
وحاقد يضمر الثأر والتنكيل بالاجتماع كله ويخفى شهوة أقلية من هوة
السلطة تريد أن تتركب الغوغاء لتصل إلى الحكم وترفع فى مسيرتها رايات
السلام وتنشد أناشيد السلام وتخفى الخناجر بين أنيابها والغل تحت إهابها .

وأقول حذار . . . فسندفع جميعاً الثمن . .
 لن نتقدم شبراً واحداً إلى الأمام . .
 بل سنتقهقر مئات السنين إلى الوراء . .
 إن الغزو الشيوعي للمنطقة العربية ليس هو « عودة الروح »
 التي يحلم بها اليساريون . . وإنما هو الطمس الكامل لروح المنطقة
 وسلبها مقوماتها وتراثها .
 إن ثمرة الزواج غير الشرعى بين الفكر المادى وبين هذه الأرض
 الطاهرة أرض الأنبياء . : لن تكون إلا مولوداً مشوهاً بلا نسب .
 إنهم يستثمرون الأزمة الاقتصادية ويثيرون الرفض والسخط والحقد
 ثم يركبون على أوجاع الناس ويلوحون أمام الجياع بأن لديهم الدواء
 الناجع . .
 ولكن الشيوعية هى الدواء وليست الدواء . .

وهى سبب كل هذا الانهيار الاقتصادى الذى حدث فى مصر . .
 • التأميم الذى انتهى إلى هبوط الإنتاج وتخلفه كماً ونوعاً .
 • اضطهاد الخبرات والكفاءات وطرد أهل التخصص وتعيين
 أهل النفاق .

- تحكم مراكز القوى .
- سيادة الحزب الواحد والرأى الواحد .
- التبعية لروسيا .
- الديون الروسية .

• الحروب التى دفعتنا إليها روسيا لتستنزف المال والسلاح
 ولتفرقنا فى مزيد من الدين .
 • تمزق الصف العربى .
 وكلها أخطاء جرتنا إليها الحلول الماركسية التى نقلها عبد الناصر
 نقل مسطرة من المعسكر الشرقى .

وهل عرفنا طواوير الجمعية التعاونية إلا على أياهمهم .

وهل عند الشيوعية إلا المزيد من نزع الملكيات والمزيد من التأميم
 والمزيد من القطاع العام والمزيد من الجمعيات التعاونية السائبة وبالتالى
 المزيد من المعاناة والفقر والبيروقراطية والفساد .

وهل عندهم إلا القمع والأساليب البوليسية .

وهل تنعدم الشكوى فى البلاد الاشتراكية إلا لسبب واحد . .
 إن الألسن مقطوعة والأفواه مكفمة .

وهل الرخاء فى البلاد الاشتراكية إلا مجرد منشورات وتصريحات
 رسمية وأغان وبرامج إعلامية . . والطواوير الهائلة أمام الخيارات فى موسكو
 وشورية الكرنب هى أصدق دليل .

إن اللجنة عند الشيوعية لم تكن إلا كذبة إعلامية .

والذين عاشوا وراء الستار الحديدى فى روسيا وبولندة والمجر
 يعرفون كم كانت هذه اللجنة جحيماً .

ونحن نعيش كما قلت في عصر الكذابين المحترفين ، ونشهد التزييف
تدريه أجهزة إعلامية والباطل تردده الأبواق الإذاعية ليل نهار ونقرأ التضليل
يطبع على أنه علم والانحرافات تروج على أنها نظريات والعمالة للدول
الأجنبية تمارس على أنها شرف وولاء للأمية والإنسانية والكفر ينشر على أنه
حرية وتفتح .

وفي هذه الدوامة من الأحابيل الماكرة يفرقون شبابنا وهم في سكرة
مراقتهم . . . وهم أشد ما يكونون استعداداً للرفض والتمرد . . . ويصفقون
الخلايا من أولاد وبنات في سن 'ههوه' ويزينون لهم الصحبة ويرفعون عنهم
الحرج ليشدهم بسلاسل غرائزهم إلى الانتباء الحديد .

هذا ما يحكيه طلبة الجامعة عما يجري الآن من تنظيات جديدة
نبدأ فوق الأرض ثم تنتقل صفوة قياداتها بعد ذلك تحت الأرض حيث
يصورون لهم أنهم سيكونون صناع التاريخ وطلائع المستقبل .

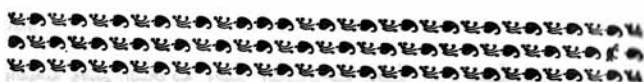
ولكن المستقبل لا يصنع بالتأمر والأحقاد والصراع الطبقى . . . وعودة
الروح لمصر لن تكون إلا بالعودة إلى القيم والمثل والمبادئ . . . إلى المنايع
التورانية لهذه الأرض . أرض الأنبياء . . . وبغير ذلك لن يقوم لنا تاريخ ولن
يرتفع لنا صوت . . .

لا تعلموا شبابنا الأباطيل



لكن ليس كما نرى في الحياة
 نرى أجهزة إعلامية
 وضع على آلة
 الإنسانية والإنسانية والكفر بشرها أنه

من الأمل في المآلة بفروق شيئا وهم في صورة
 وهم أشد ما يكون استعداداً للرفض والتصدد
 من الأمل في المآلة لتدليس المصلحة
 يشبههم بسلامة غرائزهم إلى الآباء الجليل
 هذا ما يحكيه طلبة الجامعة عما يجري الآن من تطورات حديثة
 في الأرض ثم تستغل صفوة قياداتها بعد ذلك تحت الأرض حيث
 ولم لهم أن يكون متاع التاريخ وطالع المستقبل
 لكن المستقبل لا يتعدى التاريخ والأحداث والسرعة التي
 لم تكن تكون إلا بغيره بل التمدد والظلال والظلال إلى المظلم
 في هذه الأرض . أرض الأمل . وغير ذلك من يقوم لنا تاريخ بل
 ما هو



شيء ما هو
 نرى ما نرى
 من الأمل في المآلة
 ولعلنا نرى ما نرى

تري ماذا يشغل بال إسان هذا العصر . . وفيه يفكر . . وماذا يعبد ،
 إن تعداد عالم اليوم حوالى الأربعة الآف مليون منهم ألف مليون
 مسلم وألف مليون مسيحي وألف مليون شيوعي وألف مليون وثني على
 وجه التقريب . . أى ينبغي أن نقول إن نصف العالم مؤمن مشغول بالله
 والنصف الآخر ملحد أو وثني مشغول بمسائل أخرى . . ولكن هذا
 غير صحيح . . فخانة الديانة في بطاقة الهوية لم تعد تعنى شيئاً .

لم يعد أكثر المسلمين مسلمين ولم يعد أكثر المسيحيين مسيحيين
 وإنما جرفت الحياة المادية الجميع وأصبح شاغل الكل هو تحصيل لذة
 حسية أو ثروة أو عقار أو متاع أو جاه أو سلطة أو رياسة أو كسب
 سريع عاجل بأى سبيل .

ومعبودات اليوم هي فاترينات البضائع الاستهلاكية والعربات
 والثلاجات والعمارات وأوتان اليوم هي صم اللذة الجنسية وصم شهوة
 البطن وصم الأنا .

وهي عند المثقفين صم الدولة وصم الأيديولوجية وصم العصبية

والقومية وصنم الشعوبية وصنم التكنولوجيا وصنم العلم وصنم الفن وصنم العقل . . والعجل الذهب هو الرب الواحد المتربع على عرش كل هذه الأصنام يسجد له الجميع ويسبحونه ويدبحون له القرايين .
إنها جاهلية على مستوى عال .

جاهلية عقلها ألكتروني وأسنانها ذرية ودمائها بترولية ، وأقمارها صناعية ، ورجلها على القمر ، ويدها بلغت المريخ .

وفي دوار هذه المنجزات المادية الهائلة صور الغرور للإنسان أنه وحده صانع كل شيء وأنه الخالق والمشرع والمبدع والمهيمن لاشريك له . وقد تسلت إلينا هذه الجاهلية من الغرب ومن الشرق ودخلت إلينا في غرفة نومنا مع الصحيفة والمجلة وبرنامج الإذاعة ومسرحية التليفزيون وفنجان القهوة .

ثم تسلت إلى الكتاب المدرسي الذي في يد الطالب ، وتسربت إلى المقررات التعليمية التي نلقنها للناشئة من الشباب وغمرت مكتبات الجامعة وأصبحت وزارات المعارف والتعليم طرفاً في الجريمة دون أن تدري . . فيما تفرض على طلبتها كل عام من مقررات .

وضمن ما يدرس الطالب من نظريات أصبح يقرأ أن الطبيعة خلقت النبات بصورة كذا ليتكيف مع الظروف كذا . . وأن الطبيعة خلقت للطيور أجنحة وللأسماك زعانف وللدواب أرجلا ، وأن المادة تطورت من التراب إلى الإنسان بمقتضى القانون الجدلي والمودع فيها ، ويتعلم طالب الاقتصاد أن قانون الحتمية التاريخية هو القانون الحاكم لحركة التاريخ ولتطورات المجتمع الإنساني وأن الحتمية

الطبقية هي القانون الموجه للسلوك الفردي ، ويتعلم حتمية الحل الاشتراكي وحتمية الأخلاق وحتمية الشخصية .

ويتعلم طالب علم النفس أن الغريزة الجنسية هي أساس تكوين الشخصية الإنسانية (فرويد) وأن حوافز الأنا هي أساس علم النفس الفردي (أدلر) .

ويتعلم طالب الفلسفة نظرية المصادفة وكيف أن الكون جاء مصادفة ، وفي هذا العصر المنزع نرى أن العلوم قد تكاثرت وتعددت فلم يبق للعلماء إلا أن يبحث كل واحد منهم عن تخصص دقيق مما جعل العلماء معزولين أكثر وأكثر داخل نطاق تخصصاتهم . وهذا بدوره أفقد العلم نظريته الشاملة المستوعبة .

ونظراً لقصر عمر الإنسان وتعدد العلوم وكثرتها أصبح من المستحيل على العالم مهما أعطى عمره لعلمه أن يحيط بالعلوم كلها . وبالتالي أصبح من المستحيل عليه أن يعطى حكماً شمولياً على أي شيء .

وقد رأينا كارل ماركس يصدر حكماً عاماً على الأديان دون أي دراسة للدين الإسلامي وبمجرد استقراء محدود للمسيحية في أوروبا وكيف وقع بذلك في خطأ فاحش .

ثم الكلام الكثير المزيف المنمق عن الحرية والديمقراطية وقد أصبحت الحرية في عصرنا معناها التحلل من القيم والانفكاك من المثل والغوغائية ، والفوضوية .

وكأنما يعيد التاريخ نفسه فالديمقراطية التي بدأت في أثينا بالغوغائية فأصدرت حكم الإعدام على سقراط انتهت في عصرنا بإعدام المثل

والقيم والأديان والسخرية من كل شريف وكريم ، وعادت مرة أخرى إلى الفوضوية والغوغائية .

ورأينا الديمقراطية التي تطلق على نفسها اسم الديمقراطية الشعبية تعلن ظاهرياً أن الحكم بيد الشعب والواقع أن مقاليد أمورهما جميعاً بيد فرد أو حزب يصنع بالكل ما يشاء . .

وهذا ما جربناه في خلال عشرين عاماً خلت من ديمقراطيتنا الاشتراكية . . ثم كان دأب هذه النظم العصرية جميعها رفض ونيزد التشريع الإلهي وإعلان الإنسان سيداً وحاكماً مكان الله يقنن لنفسه وبشرع لنفسه ما يشاء من قوانين .

وقد رأينا بأعيننا عجز هذه القوانين عن ردع الانحراف ، ورأينا كيف تستفحل الجرائم وكيف ينعدم الأمن في أمريكا أرقى بلاد العالم) .. ثم لم نأخذ درساً . . لم نفد عبرة .

والكلام لوزارات التربية والتعليم والمعارف في كل البلاد العربية .

كيف نترك هذه الأكاذيب تدرس للطلبة وكيف نضمنها مقررات رسمية دون أن تتضمن هذه المقررات تحليلاً نقدياً

كيف يلقي إليهم الفكر المادى دون نقد ودون تعليق .

وكيف يلقي إليهم علم النفس الفرويدى دون نقد ودون تصحيح .

وكيف نقدم إليهم هذه الأشياء على أنها حقائق وعلوم على حين هي ظنون وفروض وتخمينات ثبت الآن خطأها وخلفها التراث الأوربي وراءه فيما خلف من أساطير العصور الوسطى . .

وما تلك الحتمية التي نعلمها لأولادنا .
وما هي حتمية الحل الاشتراكي ، وقد رأينا الصين تخرج من تخلف الأفقيون محل اشتراكي ورأينا اليابان تخرج من دمار القنبلة الذرية بحل رأسمالي .
حدث هذا أمام أعيننا .

إذن لا توجد حتمية لحل واحد لاسواه . . بل أماننا مجال اختيار لنختار دائماً ما يناسبنا . .

وسيطل الإنسان يختار بين الحلول إلى أن تقوم الساعة . . فلا حتمية في المسائل الإنسانية .

وهذا ما يفرق الإنسان عن الجماد وهذا ما يفرق الإنسان عن كرة البلياردو .

فالإنسان يختار بين بديلات وكرة البلياردو تتحرك في حتمية ودون اختيار .

وكما يقول ماكس جال يتميز الكائن الحي بخاصية يفرد بها بخلاف المخلوقات جميعاً . . وهذه الخاصية هي التلقائية . . والتلقائية موقف اختيار ذاتي يختلف عن حركة . المادة الجامدة . . فالكائن الحي يبادر بسلوك ونشاط تلقائي لا ترافقه علاقات ترابطية حتمية ملزمة وبذلك يخرج سلوك الإنسان عن دائرة الظواهر الطبيعية التي تتصف بالآلية . . وهذا معناه عدم خضوع الإنسان لقانون الحتمية العلمية : فالمواقف والاتجاهات والانفعالات جميعها من سمات الكائن الحي وهي لا تخضع واقعياً ولا تجريبياً لمواصفات الحتمية من قريب أو بعيد (كتاب نحو منهج علمي وإسلامي للدكتور حسن الشرفاوى)؛

وقد سبق لى أن نقدت الماركسية والفكر الجدلى والمادية التاريخية والاحتمية التطبيقية فى كتابى الماركسية والإسلام وكتابى الثانى « لماذا رفضت الماركسية » ويستطيع أن يعود إليهما من يريد تفصيلات أكثر .

ولا شك أن محاولة اعتساف مفتاح واحد لفهم الإنسان والتاريخ هى محاولة ساذجة فالقول بأن مفتاح الشخصية الإنسانية هى الغريزة الجنسية ليس أقل ساذجة من القول بأن مفتاح حركة التاريخ هو الصراع الطبقي .

وكل من المحاولتين كانت تبسيطاً مخلاً لحقائق شديدة التداخل والتراكب والتعقد .

ومثل ذلك أن نقول بأن الكون جاء مصادفة .

أو أنه فى البداية كانت المادة ثم تطورت إلى فكر .

فمن كان هناك فى بداية الخلق ليقول عن علم وعن شهود إنه فى البدء كان كذا وكذا .

إن الأمر كله ظن وفرض ورجم بالغيب وهو عين ما يتهموننا نحن به .

ثم إن القول بالمصادفة هو منتهى الجرأة فى كون كله قوانين محكمة منضبطة وكل حركة فيه بمقدار وكل عنصر بمقدار .

والقائل بهذا يهدف بداهة إلى القول بالعبث ثم هو يريد من وراء ذلك

إلى أن يحل نفسه من جميع القيم ليعبث هو الآخر ويلهو ويخرب كما يشاء فى عالم جاء مصادفة ويتبى مصادفة .

والأعجب من هذا أن ندرس هذا الكلام للناشئين من شبابنا دون تعليق .

لقد كان مؤتمر مكة للتعليم الإسلامى أهم حدث فى أوانه لإعادة النظر فى مناهج التربية ولإعادة صياغة الكتب الدراسية .

وكثال للأفكار المدسوسة فى كتب طلابنا نرى أن كتاب الفلسفة المقرر على المدارس الثانوية فى المغرب يقسم الفلسفة إلى ثلاثة أقسام . فلسفة أسطورية وفلسفة دينية وفلسفة علمية .. ثم يقول الكتاب للتلاميذ إن الفلسفة الدينية تطورت عن الفلسفة الأسطورية . . أى أن الدين نبت عن الأساطير . . ويدرس هذا الكلام على أنه علم وحقيقة مؤكدة .

يمثل هذا كثير . . فى الكتب التى يتلقاها أولادنا . .

وهذا نتيجة أننا عشنا عالة على العلم الغربى لسنوات طويلة نأخذ مافيه من طيب وخبيث دون تمييز . .

وفى أوروبا ولد العلم مناهضاً ومعادياً للدين من البداية . . وفى الأسطورة الإغريقية يسرق بروميثيوس شعلة المعرفة والنار الإلهية ويعطيها الإنسان اختلاصاً وتعدياً على الله . . وهكذا أيضاً فهموا قصة أكل آدم من الشجرة فقد فسروها على أنها شجرة المعرفة وأن آدم بذلك اختلس المعرفة من الله تعدياً وعصياناً .

وهكذا جعلوا من العلم نقيضاً للدين وأمرأ محظوراً أخذه آدم من الله سرقة واختلاصاً .

وهو فهم خاطئ صححه القرآن . . فالله فى القرآن علم آدم الأسماء كلها . . وهو الذى علم بالقلم . . وعلم الإنسان ما لم يعلم . . بل أمر الإنسان بطلب العلم والزيادة منه . (قل رب زدنى علماً . .) .

وهذا هو الفرق بين النظرة الغربية والنظرة الإسلامية إلى العلم .

ونجد هذا الفرق أيضاً بين نظرتهما ونظرتنا للمرأة . فالمرأة في الأسطورة الإغريقية باندورا هي التي أتت بصندوق الشرور إلى الدنيا . وهي كذلك نجس في الثوراة . والمرأة الأوربية تدفع المهر للرجل ولا حق لها في أن تدبر أموالها . . بينما هي في الإسلام لها الحق الكامل في إدارة أموالها مستقلة عن ولاية زوجها . . وعلى الزوج أن يدفع لها المهر والتفقة . .

والمرأة في الإسلام لها من الحقوق مثل ما عليها من الواجبات .

(وفن مثل الذي عليهن بالمعروف) ٢٢٨ البقرة . .

ثم إن مفهوم العلم في الغرب مختلف عن مفهومنا فعندنا الدين علم لأنه علم بالله والله هو أشرف معلوم .. وعندنا لا يصح العلم بدون تقوى ولا يصح بدون خلق .

والعلم عندنا وسائله الحواس والاستقراء والتحليل العقلي كما أن من وسائله التلقي بالقلب والاستمداد من الله .. فالله هو المستند النهائي لجميع الحقائق .. وذلك هو العلم اللدني الإشرافي .

ولذلك كانت من وسائل العلم عندنا العبادة والطاعة والاستقامة بل هي الوسائل الوحيدة للتعرف على علوم الغيب المحجوبة .

والله يقول في حديثه القدسي من عمل بما علم الله علم ما لم يعلم .

فطاعة الله والتزام منهجه وسيلة إلى مزيد علم .. وهذا تأسيس على الحقيقة الأولى أن العلم كله من الله .

ولهذا كانت العلاقة وثيقة بين العلم والتقوى .

وهدف العلم عندنا لا يقف عند حدود استئثار البيئة وخلق المواطن وإنما يتعدى ذلك إلى خلق الإنسان الكامل الذي لا يتقيد بوطن أولون أو جنس أو عرق . . كما يتعدى معرفة البيئة إلى معرفة خالقها .

أما هم فالعلم عندهم هو العلم المادى الوضعي فقط وسائله الحواس والاستنباط العقلي وهدفه استثمار البيئة وطلب القوة والغلبة والسيطرة .

ولا يقلل من علم العالم عندهم أن يكون فاسقاً وسكيراً بلا خلق مادام قد اخترع كذا كذا . . فالعلم شيء والعمل شيء آخر . . ولهذا يتصور الرجل الغربي أن الإسلام يمكن أن يقوم بتدريسه مدرس وثني لأنه لا ينظر إلى الإسلام إلا على أنه مجموعة معلومات ولا يفهم أن الإسلام حياة وبعث روحى وانقلاب كامل في السلوك وأنه لا يمكن تصور الإسلام منفصلاً عن العمل فلا يصلح لتدريس الإسلام إلا رجل هو مثال وقدوة .

وانفصال العلم عن الدين هو الذى أدى إلى هذه المدنية العلمانية من فن وعمارة وأزياء وعادات وتقاليده وتكنولوجيا وسينما ومسرح وحرية جنسية وياورات وملاهي وعلب ليل وموسيقى الجاز الصاخبة ورسوم السور بالزم .. تلك الحياة التي تتحالف بكل مظاهرها لتنسيك الله ولتبتليك في حالة غفلة إلى أن تموت .

ومن هذه المدنية العلمانية خرجت اكتشافات هائلة مثل الذرة لتكون دماراً وهلاكاً وخراباً للإنسانية قبل أن تكون خيراً وبركة ونعمة .

والعلم الغربي يدعى الموضوعية ولكننا نراه في أغلب الأمر تابعاً للأيديولوجيات والمذاهب والموى السياسى (كما نرى في علم الاجتماع والتاريخ والاقتصاد) خاصة في مجال الاستنباط النظرى . . وهو دائماً في الغرب موجه لأغراض

خاصة ومصالح خاصة ، ولهذا قلما نجد العالم الغربي الذي يستنبط من ملاحظاته العلمية نتيجة دينية . . ومن يفعل هذا يتهم بالتحريف الصوفي والخروج على المنهج العلمي .

هذا علمهم وهذا علمنا . . ومع ذلك عشنا وما زلنا نعيش عائلة على ذلك العلم تأخذ منه بلا تمييز وتقلده بلا نظر ونحتقر تراثنا وهو كنز الكنوز التي لا يقدر بثمن . . ونخرج أجيالا تشعر بالغربة في بلادها لأنها تلقت علوماً زرعت فيها تلك الغربة .

غلى متى . . غلى متى نظل في ذلك النوم الثقيل ومتى ننهض إلى رسالتنا ودورنا ومتى نصرف على كنوزنا وتقدمها من جديد لعالم مريض أنهكته الملل .

الإسلام والوحدة العربية



خاصة بمصالح خاصة ، بل قد تخدم المصالح التي يستلزم من
ملاكها كمنفعة معينة . ومن قبل هذا يجب بالتحرر من
الانحياز على المصالح الخاصة .
هذا عليهم وهذا علمنا . مع ذلك مشا وما لنا نعيش على
ذلك العلم فاعلمنا بالإسناد وقدمنا لا نأمر ونحظر فرائنا ومركزنا
التي لا يجوز شتم . ونخرج أحوالنا التي بالقرية في بلادها لأنها تفت
وتت لها تلك التي بها قدامها .

في تلك اليوم القليل وفي نهض إلى رسالتنا ودورنا وفي
كل كنزنا وقدمنا من جديد لنام مريض ألهكه الله .

الوحدة العربية حلم وأمل وأغنية . . .

رومينا لنعلم ما لم نرى . ما لم نعلم . ما لم نعلم . ما لم نعلم .
ويعلمنا . ما لم نعلم . ما لم نعلم . ما لم نعلم .
بالعلم . ما لم نعلم . ما لم نعلم . ما لم نعلم .
العلم . ما لم نعلم . ما لم نعلم . ما لم نعلم .
العلم . ما لم نعلم . ما لم نعلم . ما لم نعلم .
العلم . ما لم نعلم . ما لم نعلم . ما لم نعلم .
العلم . ما لم نعلم . ما لم نعلم . ما لم نعلم .
العلم . ما لم نعلم . ما لم نعلم . ما لم نعلم .

وباسم الوحدة قامت مذاهب وسقطت نظم وولدت زعامات ،
وعلى ذراع الوحدة ارتفع قادة واستشهد أبطال وحكم دجالون .
كانت الوحدة دائماً هي الموال المطرب الذي يحرك الشجون ،
وكانت شجوناً بطول التاريخ وبعرض المستقبل .

أدركت إنجلترا وفرنسا ومن بعدهما أوروبا وأمريكا أن الوحدة على
الأرض العربية معناها قيام أقوى دولة في العالم تملك المال والطاقة والعقيدة
واجتماع هذه الأسلحة الثلاثة لأمة معناها العظمة والقوة التي لا تقهر ،
ولذلك اتفقت جهود الكل على ضرب الوحدة وتفتيتها في جميع العهود .

ولم تقبل روسيا إلا وحدة عربية تحت رايها الشيوعية لأنها تعلم
أنها لن تكون وحدة ذات بال . . فبعد نزع فتيل الدين من المنطقة سوف
تتحول القنبلة العربية إلى قطعة من الحديد الخردة لا فعل لها ولا أثر .
ويصبح المواطن العربي أجنياً في أرضه بلاهوية ولا بطاقة وذلك نسف
من نوع آخر للوحدة من جذورها . وخلع للعربي من نسبه وأتائه وتاريخه .

أسوأ وأكثر ظلماً من المستعمر ، لأن الاستعمار خرج وترك عملاءه وترك الاقتصاد عميلاً وتبعاً وترك العقول مخربة ، وترك العائلة منقسمة بعضها على بعض .

وأصبحت الصورة العادية للبلاد التي استقلت حديثاً صورة بلاد تتعاقب عليها الانقلابات العسكرية وتتعالى الهتافات وتدوى الشعارات وتجار الإذاعات ويسود الحكم البوليسي والرأى الواحد

وقالوا : إن الطريق إلى الوحدة هو الدولة العلمانية والنظام الواحد . شاهدنا محاولات لتوحيد البلاد العربية تحت راية الاشتراكية الناصرية وهي محاولات جاءت بنتائج عكسية وأثمرت كثيراً من الانقلابات الفاشلة في اليمن والعراق وسوريا قادها السلال والشواف وجاسم علوان وخلقت مزيداً من الفقرة والعداوة بين الأشقاء .

وشاهدنا في الجانب الآخر من العالم محاولة لخلق كتلة شيوعية موحدة من الصين وروسيا ترفع الشعارات نفسها وتدعو إلى النظام العلماني نفسه ورأينا كيف أثمرت هذه الوحدة عداوة وتناقضاً أكثر من التناقض الذي بين أقصى الشرق وأقصى الغرب

وأمامنا مثال الحكم السوري والحكم العراقي وكلاهما حمل « اللفة » نفسها والشعارات نفسها والأيديولوجية البعثية نفسها ومع ذلك رأينا بينهما من العداوة والفرقة ما لم نر بين العرب واليهود !

وكان من الواضح أن موضوع الوحدة أعقد بكثير مما تصوره الحكماء الذين حاولوا تبسيط المسائل . وكان من الواضح كذلك أن الأنظمة الموحدة والشعارات الموحدة

لقد اتفق الكل على إزهاق أنفاسنا وتشثيت شملنا واختلفت - أسلحتهم وأدواتهم من استعمار سافر يحتل الأرض إلى استعمار مذهبي يحتل العقول إلى استعمار اقتصادي ينهب الثروات ، إلى غزو فكري يلبس النفوس ويشوش الأفكار ، إلى دعوات انحلالية تبدد طاقات الشباب في الجنس والمخدرات والعبث ! . ورأينا أرض الشام يقسمها الاستعمار إلى دويلات : سوريا ولبنان والأردن وفلسطين ! . ونرى اليوم المؤامرات تحاول أن تقسم دويلة لبنان إلى قرى مسيحية وقرى مسلمة وقرى درزية وقرى شيعية ، ومن قبل حاولوا تمزيق بلادنا بالصراع الطبقي وحاولوا تمزيق السودان بالسلاح ذاته .

- مرة يحرضون الطوائف بعضها على بعض .
 - ومرة يحرضون الأديان بعضها على بعض .
 - ومرة يقسمون الناس إلى يمين ويسار .
 - ومرة يقسمونهم إلى بورجوازية وبروليتاريا وأغنياء وفقراء .
- وفي جميع الأحوال لا حل سوى أن يقضى طرف على الطرف الآخر ، وفي جميع الأحوال يتدخلون ليطول الصراع ويطول نزيف الدم وتستترف الموارد . . ويشعلون الفتنة ليعود كل طرف فينقسم على نفسه إلى شرادم يأكل بعضها بعضاً بلا نهاية حتى يتحول الكل إلى مسحوق وبرادة لا شأن لها .

وقد اجتهد الحكماء بطول التاريخ في البحث عن مخرج . . . قالوا : إن العدو هو الاستعمار . . فلنقتض على الاستعمار . . . ولكن الحكم الوطني الذي ورث الأرض كان في أغلب الحالات

لا تكني لتصنع وحدة ، ما دامت القيادات في كل حالة ستصرف بطريقة شخصية ، وسوف تتفرق إلى أهواء وأغراض .

والأشخاص لا يستطيعون التجرد من شخصيتهم ولا يملكون أن يتحولوا إلى عقيدة محضة إلا إذا كانوا أنبياء أو في مرتبة الأنبياء، ولهذا استطاع النبي محمد عليه الصلاة والسلام أن يخلق أمة عربية موحدة من عدم . . من قبائل متقاتلة تعيش على قطع الطريق لأننا كنا أمام رجل تجرد لرسالته وكلمته وكان قوله فعله . . رجل رباني لا ينطق عن الهوى ولا يتصرف عن غرض . . وإنما ينطق عن وحى . .

● يقول له ربه في موضوع الوحدة (لو أنفقت ما في الأرض جميعاً ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم) وذلك سر آخر من أسرار الوحدة .. فالوحدة لا تتم بمجرد توحيد أفكار وتوحيد عقول وإنما لا بد من تأليف القلوب .. وذلك أمر لا يملكه إلا رب القلوب ولا تستطيع أية قيادة أن تؤلف قلوب الناس ولا تستطيع أن توحيد أرواحهم . . وإنما هي على أكثر تقدير تطلق شعارات وتحرك العقول والعقول تتبع الأهواء وتعشق الجدل وليس وراء الجدل إلا الفرقة .

ومن عجب أنه لا أحد يطرح الإسلام كسبيل وحدة وحيثما يطرح الإسلام في مجالس المثقفين نرى الذي يزدري بصره . والذي يشيح بيده والذي يمحض بشتيته في استخفاف !

وينسى الكل أن الذي أعطاهم لغة واحدة يتكلمون بها والذي صنع منهم أمة عربية لها تاريخ هو الإسلام والقرآن ومحمد .

ومن قبل الإسلام لم يكن هناك وجود لشيء اسمه أمة عربية ولا كان هناك مفهوم لكلمة « أمة عربية » وإنما قبائل متناحرة وبلاد مختلفة تتكلم عدة لغات وشعوب تدوسها خيول الروم والفرس - والمقلونين والمغول والمكسوس .

وأكثر من هذا يتصور هؤلاء المثقفون ذوو الباقات العالية أن الإسلام سبيل فرقة وليس سبيل وحدة لأنهم يفهمون الإسلام على أنه تقيض للمسيحية وأنه سوف يأتي بالعصية الدينية وبالحرث على كل من هو غير مسلم .

وينسون أن المسلم يقول :

● (لكم دينكم ولي دين) .

● (لا إكراه في الدين) .

● (لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم) ٨ - المتحنة

● وأن المسلم لا يقاتل إلا من قاتله ولا يعتدى إلا على من عاداه .

● (وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا) .

● وأن المسلم بار بالمسيحي وبار باليهودي .

وكان عمر بن الخطاب يخصص حبوساً وأوقافاً للإنفاق على ذوى العاهات من اليهود والمجذومين من النصارى .

وأن الإسلام في طبيعته السباحة واللين والوداعة وأنه دين يضم

في عبادته كل خصائمه من الأديان الأخرى في حنان وتفهم ما داموا قد سالموه ولم يبادروه العداء .

وأن الإسلام الذي فهموه بأنه تقيض للمسيحية ليس إسلاماً بل تعصباً منكرًا ليس من الدين في شيء . . .

سيقول الماكرون . . . ألم ينقسم الإسلام نفسه إلى شيعة وسنة ودروز وعلويين وخوارج ومعتزلة إلى آخر السبعين فرقة التي حملت بالسيف بعضها على البعض . . فكيف نطمح أن يوحدنا الإسلام إذا كان قد عجز عن توحيد نفسه .

وسوف ينشد أحدهم قول الشاعر :

سلام على كفر يوحد بيننا ويا مرجباً من بعدها يجهم !

وسوف نقول لهم . . إن الكفر لن يوحد بينهم أبداً . . كما أن الإسلام لم يكن هو الذي فرق الناس إلى دروز وعلويين وخوارج ومعتزلة . . بل لم ينقسم الإسلام على نفسه ، وإنما المسلمون هم الذين فرقهم الأهواء والأغراض وطوحت بهم الأطماع الساسية في شتى الطرق والسبل ومزقتهم شر ممزق وجعلتهم أحاديث .

ولو أن أحداً سأل عمر بن الخطاب .. هل أنت شيعي أو سني ! وهل أنت علوي أو درزي ؟ . وهل أنت يميني أو يساري ؟ . لضحك عمر على بلاهته . . فافهم عمر الإسلام على أنه طرق وشوارع وسبل وإنما على أنه طريق واحدة وصراط واحد مستقيم ، الذي يخرج عنه إلى اليمين أو إلى اليسار لا يعود من الإسلام في شيء .

(وأن هذا صراطى مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله) . ١٥٣ - الأنعام

ذلك هو الإسلام البسيط الذي نعرفه والذي نريده ، وهو الإسلام الذي صنع لنا لغتنا ووجدتنا في الماضي وهو الذي يستطيع أن يصنع لنا ووجدتنا في المستقبل وهو الذي يستطيع أن يتحدى الروس والأمريكان بمثل ما تحدى الروم والفرس بالأمس .

وهو الإسلام الذي لا ينظر إلى النصرانية على أنها تقيض بحاربه وإنما ينظر إلى النصارى على أنهم أشقاء وأهل مودة يؤاخيهم ويناصرهم .

(ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى ذلك بأن منهم قسيسين ورهباناً وأنهم لا يستكبرون) . ٨٢ - المائدة

وهو الإسلام الذي يحترم العلم ويدعو إلى المزيد من العلم .

(وقل رب زدني علماً) .

وليس هو الإسلام الذي يحارب العلم ويناقض العلم . . ذلك الإسلام المزيف الذي يتذرع به البعض ليقبضوا مجتمعات علمانيةً بلا دين !

ثم لماذا في ساعات الخطر الماحق والأزمات المحدقة لا تعبئ الأمة العربية إلا صيحات . . الله وأكبر . . الله أكبر . . ورمضان . .

صلاح الدين حقق معجزة النصر على الصليبيين في رمضان وجنوده يهتفون . . الله أكبر . . وقطر حشد مصر في رمضان ليواجه التتار

بصيحة الله أكبر والسادات عبر إلى سيناء في رمضان وحطم خط بارليف وجنوده يصيحون الله أكبر . . .

والقلة المسلمة قابلت الكثرة الكافرة المسلحة بالعدة والعناد في رمضان في معركة بدر بصيحة الله أكبر . .

لماذا لم تستطع الشعارات الجوفاء أن تعبى الأمة في هزيمة ٦٧ .

ولماذا رجع جنود عبد الناصر منكسرين في انسحاب ١٩٥٦ لم تنفعهم شعاراتهم ؟ ثم لم يرد اليهود على أعقابهم بعد ذلك إلا موقف أيزنهاور .

وإذا كان الإسلام هو القوة الفريدة التي لها قدرة تعبوية ساعة الخطر ولحظة المصير .. وإذا كان الإسلام هو الذى يسارع فيجمع العرب كلما تهددهم الزوال . فلماذا يشمتر المثقفون أصحاب الباقات العالية ؟ ولماذا يشيحون بالأيدى ويمصصون الشفاه كلما تكلمنا عن الإسلام وكأننا تكلمنا إفكاً ونطقنا زوراً ؟

وإذا كانت تلك هى حقيقة التاريخ وخريطة الواقع فلماذا هذا الإصرار على التجاهل . . إلا أن يكون هو المكابرة والعناد .

(ووجدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلماً وعلواً) . ١٤ - النمل

(يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها وأكثرهم الكافرون) . ٨٣ - النحل

يقول أكثرهم اعتدالا حينما ينكشف عناده وتعبته . . لا ننكر أن الإسلام عامل له مكانه في الوحدة . . بل نقول لم ويقول التاريخ ويقول الواقع . . بل هو العامل الأول والحاسم والقاطع في جميع لحظات المصير .

تلك هى الحقيقة ولهذا يمشى كل أعدائنا من روس وأمريكان

وأوربين - الإسلام ولا يريدون له صوتاً في الأرض العربية لأنهم يعلمون أنه الصوت الأسطوري الذى سوف يصنع معجزة الوحدة على الأرض العربية . . وإذا توحد العرب وفى يدهم المال والطاقة والعقيدة - فتلك دولة الحق التى ستعلو على كل الدول ولن يقف أمامها شيء !

أبأنى ذلك اليوم . . ؟

نعم . . حينما يأتى الإيمان الكامل والمؤمن الكامل .

ذلك المؤمن القادم الذى هو ثمرة التوحيد سوف يكون أول من يتنفع بثمره التوحيد ، فتتوحد شخصيته وتتوحد اتجاه مشاعره نحو مصدر واحد للتلقى فلا تتوزع عواطفه . ولا يتوزع انتباهه ولا تشتت نفسه . وبهذا التوحيد يجتمع همه وتتوحد قبلته وتتوحد أشواقه وتنظم أفكاره كأنها الحبات سلكت خيطاً واحداً !

وبمثل ما فعل التوحيد فيه فإنه يفعل في الأمة فتتوحد ثم في الأمم فتتآلف وراء قبلة واحدة وغاية واحدة فتتوحد الأهداف وتتحد المسيرة ،

وذلك هو سر التوحيد السارى في الوجود . . يقول ربنا .

(إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون) .

وتلك هى الوحدة وراء الواحد . ذلك هو القرآن المقروء :

ولكن ما يبقى هو القرآن الذى يمشى على الأرض . : ينقصنا رجال يمشون على الأرض كأنهم قرآن . . كما كان يمشى محمد عليه صلوات الله وسلامه . . وكما كان يمشى أصحابه .

إذا ظهر هؤلاء الرجال الريانيون فذلك هو البعث الحق ؟ ؟



فقد تم الاتفاق على ذلك في وقت مبكر من عام ١٩٩٠م
فقد تم الاتفاق على ذلك في وقت مبكر من عام ١٩٩٠م

فقد تم الاتفاق على ذلك في وقت مبكر من عام ١٩٩٠م
فقد تم الاتفاق على ذلك في وقت مبكر من عام ١٩٩٠م

لم تشهد البلاد العربية في تاريخها فرقة وانقساماً كما نرى حولنا
اليوم ، وقد أصبح العداء وتبادل الاتهامات هو نخبه الصباح بين كل
جارتين . . اليمن الجنوبية واليمن الشمالية . . عدن والسعودية . .
الكويت والعراق . . العراق وسوريا . . سوريا ولبنان . . مصر وليبيا . .
ليبيا والمغرب . . المغرب والجزائر . . وينطلق الرصاص على الحدود ويموت
الأخوة بلا قضية . . لأن أحدهما كان على يسار الآخر أو على يمينه .

والعدوى انتقلت إلى أفريقيا وسرحت في جسم القارة تقسمها
وتأكلها قطعة قطعة ، وكل شيء أصبح قابلاً للقسم . . ودخولك في
اليسار لم يعد يحميك . . فقد تفاجأ بزميل كفاحك في الفجر ينشق
عليك ويتزعم كتلة أكثر منك يسارية . . وتكتشف أنك أصبحت
يمينياً رجعيّاً . . وقد تطير رأسك كما حدث للرفيق سالم ربيع . .
أو تنفجر فيك رسالة ملغومة كما حدث للرئيس اليمني .

ولا نهاية للانقسامات فكل يسار على يساره يسار وكل يمين على

يديه يمن . . والحقى اليسارية إذا أصابت جماعة ظلت تنقسم على نفسها بنوع من الانفجار المتسلسل حتى تنتهى إلى شراذم ومسحوق وبرادة لا قيمة لها .

ولا يتكلم الرفاق ولا يتحاورون ولا يحاولون الوصول إلى تصفية فكرية وإنما يتكلم الرصاص ليصل إلى تصفيات شخصية . . ويصعد كل واحد على جثة الآخر ليعود ثالث فيصعد على جثته ولا نهاية . . والشريف اليوم يصبح خائناً فى الغد . . وخلاف الرأى يتحول إلى تلطيخ أخلاقى واتهام بالعمالة . . والمتكلم فى العادة يكون هو الحاكم المطلق ولا يملك أحد أن يرد عليه .

وذلك هو حال التراث الماركسى فى التطبيق . . نراه دائماً يتحول إلى أشخاص وأهواء وتارات ومادة للخصومة واختلاف أزلى بلا هدنة وبلا نهاية . . وشعار الماركسى هو كلمة جوركى الشهيرة . . . « جئت إلى العالم لكى يختلف معه » . . لم يقل لكى يختلف مع الباطل . . بل مع العالم أياً كان هذا العالم على الحق أو على الباطل . . لأن التناقض والصراع هو مفهوم التقدم عندهم . . وهو مفهوم يعطى رخصة القتل والتصفية الجسدية لأى زعيم يجلس على الكرسي . . والماركسية تزود أتباعها بقاموس من يسهل عليهم التخليط والتدليس فى المعانى والتزوير فى الأهداف .

نحن قد تعلمنا منذ الأزل بأن الديمقراطية هى حكم الشعب . . . ولكننا نراهم يبتعدون ديمقراطيات عجيبة الحكم فيها لفرد واحد . . هو لينين أو ستالين أو برياً أو اللجنة المركزية للحزب الشيوعى أو النظرية

الماركسية أو الطبقة صانعة التاريخ . . أو الطبقة صاحبة المصلحة . . ولا يعيهم الجدل . . فهم سفسطائيون مجادلون بالفطرة . . يتقنون فن تبرير المذابيح .

ثم نتعلم أن الحرية هى أن تقول كلمتك فى وجه السلطة وأن نغير عن رأيك فى وجه الاستبداد . . فرأيانهم يطلعون علينا بتعريف جديد من قاموسهم يقولون فيه أن حريتك هى أن أطعمك ، فإذا أطعمناك فليس لك عندنا شيء . . وسموها عندهم بالحرية الاجتماعية ونسوا أن الحيوانات هى الأخرى تجد ما تأكله ولا يقول عنها أحد أنها حرة .

ثم نتعلم بطول التاريخ أن الاستقلال هو طرد الأجنبى المحتل . . فرأيانهم يعلموننا أن دخول الدبابات الروسية إلى المجر وقهر الإرادة الوطنية واحتلال التراب المجرى هو بعينه التحرير والاستقلال المجرى . ثم إذا ارتفع صوت دوبتشك برأى حرمستقل فى بلده تشيكوسلوفاكيا قالوا لنا هو خائن وعميل يبنى التخلص منه ، وبادروا إلى اقتحام تشيكوسلوفاكيا بالدبابات لتحريرها على زعمهم .

فإذا خرجت إنجلترا من الهند وقامت شركات للبحث عن البترول فذلك هو الاستعمار الجديد .

وإذا اشترت إنجلترا القطن الخام من بلادنا ثم قامت بتصنيعه وبيعه بسعر بورصة المنسوجات فذلك مؤامرة بشعة . . وإذا أخذت روسيا منا القطن الخام ثم عادت لباعته خاماً دون تصنيع بالسوق الرأسمالية وضاربت عليه وكسبت أضعاف ما دفعت لنا فذلك اشتراكية .

ألم نتعلم أن الانتخاب الحر هو أن يكون لنا حق الاختيار بين عدة مرشحين . . فجاءوا هم بتعريف مبتكر وعلمونا أن الانتخاب الحر هو ألا نجد من نختار إلا مرشحاً واحداً نقول عليه : لا . . ونعم .
 ألم تصعد نتائج الاستفتاءات على أيامهم فرأيناها تصل في سوريا إلى ٩٩,٩٩٩ % .

ولو أن الله استفتى على ذاته لما فاز سبحانه وتعالى بهذه النسبة الخرافية . . وهو القاتل جل وعلا :
 « وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين » . فلن يصوت مع الله إلا أقلية .

هكذا يقول رب الجلالة عن نفسه .
 ولكنه القاموس العجيب .. الذى أبدعه مسيخ دجال هذا العصر .. صاحب المكر العبقري . . كارل ماركس . . ليوقع الناس بعضهم في بعض إلى الأبد . . بلا نجاة وبلا مخرج .
 ألا تلاحظ أنهم جميعاً الراضون كلهم يتحدثون في إذاعاتهم عن « الوحدة » . وهم ييثنون « الفرقة » .

وفي أى شيء يتخاصم البعث السورى والبعث العراقى وكلاهما يرفع نفس الرايات ونفس الشعارات ونفس اليسار السياسى المتطابق جملة وتفصيلا .

ولكنها كلمات . . مجرد كلمات بلا مدلول . . كلمات صابونية تعنى الشيء كما تعنى نقيضه :

أنه ذلك القاموس العبقري .

وفي هذا القاموس أن الغاية تبرر الوسيلة . . وأن المطلوب منكم أن تكذب وتصنع وتلبس لكل بيئة لبسها . . فإذا فشلت في معركتك مع الدين فعليك بالمهادنة ولترفع شعار « قضية الله يا إخوان غير مطروحة عندنا . . وما نحن إلا طلاب عدالة . . لنفكر في المشاكل الموجودة وندع جانباً قضايا الغيب » . . فإذا فشلت المهادنة فعليك بأن تؤذن وتلبس لباس الحجاج وتغير بطاقتك إلى الحاج فلان وتدعو إلى الله وتقيم الأذكار . . وتقول أنا ماركسى مسلم . . أنطق بالشهادتين .. مالكم ومالى يا إخوان . . أتشتون قلوب الناس .

إن الهدف هو الوصول إلى السلطة بأى سبيل ، فإذا وصل هذا الحاج إلى الحكم فإنه سوف يغرس خنجره في صدرك في اليوم التالى لوصوله . . ولن يسمى ما حدث غدراً . . وإنما هو عندهم في قاموسهم اسمه « استراتيجية مرحلة » اسم لطيف ذكى للنفاق والغدر والخديعة :

ثم أن هذا الغزو الفكرى قد اتخذ لنفسه طلائع زحف من النقاد احتلت مواقع التقييم في الصحافة والكتاب وراحت تتابع الأفلام التى تكتب واحداً واحداً . . إذا رأت أحدها يخرج عن الخط الأيديولوجى المطلوب وضعته مع الرجعية العميلة وصنفته مع قوى التخلف والاستعمار . . ودائماً يجعلون من الخلاف معهم مطعناً خلقياً وخيانة . . ودائماً يخلعون على أنفسهم أسماء الشرفاء والتقدميين والعلميين والموضوعيين ويخلعون على خصومهم فى رأى أسماء الخونة والعملاء والرجعيين وأذئاب الاستعمار وصنائع الإقطاع والامبريالية .
 أكنوبة اليسار الإسلامى

وقد شهدت مصر صنفوا من هذا الإرهاب الفكرى طيلة السنوات التى ركب فيها اليسار موجة الحكم .

وقد نسوا وتناسوا فى قاموسهم أن الذى يشهد على شرف إنسان ليس ادعاءه ولا قوله بلسانه . . وإنما أعماله وأخلاقه هى وحدها التى يمكن أن تشهد له أو عليه بالتقدمية أو الشرف أو العلمية أو الموضوعية . وهل كان ماركس علمياً حينما اختار من مراحل التاريخ الفترات التى تناسب دعواه وهواه وأغفل الفترات الأخرى التى تكذب نظريته . وهل كان علمياً حينما استخرج من هذه الرؤية الجزئية أحكاماً كلية ادعى أنها تحرك التاريخ برمته .

وهل كان فرويد اليهودى الآخر علمياً حينما استخرج من دفاتر مرضى المستيريا نظرية ادعى أنها تنطبق على كل الأصحاء ؟

أنما هو كلام فى كلام . . واصطلاحات وألفاظ عنكبوتية . . ومناهات لولبية . . ومخادعات منطقية .

وهم السوفسطائيون الجدد بعينهم .

ولم تثمر هذه المبادئ حينما حكمت فى بلادنا إلا الخصومات والمذابح . . ولم تثمر فى المجر وتشيكوسلوفاكيا ورومانيا إلا خلافات واحتلال بعد احتلال .

وإذا كانت تقيم مصنعا هنا أو هناك أو ترصف طريقاً أو تبنى سداً . . فإنها تهدم الإنسان وتنزل به من ذروة الروحية إلى سراديب الأحقاد والأطماع .

فترى القلة الحاكمة من أعضاء الحزب الشيوعى تصعد إلى كراسى الصفوة حيث كانت تجلس الطبقة الأرستقراطية القديمة التى أزاوحها بالدم والرصاص . . ونراها تعيش مثلها حياة الوفرة والرخاء وتركب عربات الزيم وتنفرد بشوارع وأحياء وفيلات لايزاحمها فيها أحد وتتنقل بين المصايف والمشائى وتسافر وتستمع بينا الشعب المطحون يقف طوابير أمام الجمعيات التعاونية ليأخذ نصيبه من الكرنب والبصل . . ويتراكم كل أسرته فى غرفة . . ويعيش حياته سجين بلده لا يستطيع أن يخرج منها . . فإذا ارتفع صوت باحتجاج فإنه لا يلبث أن يختفى هو وصاحبه .

وتصدر جميع الصحف تهتف وتهلل للموجود وكأنها نسخ مكررة من أصل واحد . . وتغرق الإذاعات الشباب فى المسيرات والأناشيد والبيانات الموجهة .

وما يتبقى عند الشباب من طاقة تتولاها المنظمات الشبابية أولاً بأول بالمحافل التى يقيمونها ومؤتمرات السلام التى يرقص فيها الأولاد والبنات ويشربون ويتعاقون حتى الإعياء .

وذلك هو حال الإنسان فى جنتهم الموعودة .

وتلك تجربتنا مع اليسار . . ولذلك رفضناه .

تيسق نأ غيبه اجمال نه و نه نأ

« ثالوث » مقدس أصبح معبود الشباب هذه الأيام .

هذا « الثالوث » اسمه ثالوث الكرة والحب والتليفزيون .

لا تكاد هموم الشباب وانشغالاتهم تخرج عن هذا الثالوث ..
فهم إما شباب عقولهم في أرجلهم « لاعبو الكرة ومشجعوها » أو شباب
عقولهم في عواطفهم وشهواتهم وهؤلاء هم المشغولون بمزاولة الحب أو
الفرجة على الحب في السينما والتليفزيون !

فهم شباب اختاروا أن يعيشوا بلا رأس .
أو هم قد استأصلوا رأسهم واكتفوا بالحياة بأرجلهم وبالنصف
الأسفل من جسدهم لأن ذلك أسهل وأمتع . . ولأن هذه الحياة الحسية
المادية لا تكلف صاحبها أن يعلو على نفسه ويجاهد حيوانيته ويكون
إنساناً يفكر ويتأمل .. والنتيجة أن هناك حالة « قصور ذاتي » عامة
استسلم فيها الكل لفعل الجاذبية الأرضية ، ولسلطان العادة والعرف
والذبيوع ولما يسمونه منطق العصر وحكم الأمر الواقع !

وتعاطى الحب لا يختلف كثيراً عن تعاطى أقراص « الفاليوم »

فهو أسلوب آخر للغيوبة ونسيان ما يقتضيه العقل من العقلاء .
وهكذا ينقضى الوقت ويمر العمر في أحلام كاذبة ومراودات
وتهويمات وتليفونات وخطابات وتأوهات !
ويخيل للشباب أنه يعيش حياته .

وبالمعنى الإنسانى هو فى الواقع يفقدها أو يموتها . . . وهو
يكشف ذلك حينما يصدم المرة بعد المرة فيمن يجب وحينما يرى
الشعرات البيضاء تغزو رأسه وهو ما زال على طفولته يلهو دون أن يحق
فى مشوار الإنسانية شيئاً يذكر :

ولو توقف لحظة وسأل نفسه . . ماذا أفعل ؟ ماذا حصت
لنفسى . . وماذا أضفت بحياتى وبوجودى ؟ أهدأ خلقت ؟ أهدأ
ولدت وعانيت وتعلمت ؟ ولو مضى فى التأمل لاكتشف أنه
لا يسير . . ولا يتقدم وإنما هو واقف « محلك سر » طواف مثل ثور
محبوب العينين يحرق فى البحر !

والقلة التى حاولت أن تخترق نطاق الجاذبية الأرضية سقطت
أكبرها واحترق فى الغلاف الجوى ومن هؤلاء أحزاب الرفضية الذين
يعيشون فى خلايا شيوعية تحت الأرض يحلمون بتغيير التاريخ أو الرفضية
من النوع الآخر الذين يحاربون تحت راية الجماعات الدينية المتطرفة،
ويحاولون هدم كل شئ وتكفير كل شئ باسم الدين .

وهؤلاء خرجوا من فلك شهواتهم الجنسية ، ولكنهم سقطوا فى
فلك شهوات نفسية أخطر وأسوأ هى شهوات الحكم والتسلط والحق
وفرض ذواتهم وأفكارهم وأحقادهم على الآخرين فهم ما زالوا على
الأرض لم يرحلوا وإن تصوروا أنهم استعلوا وتساموا على أقرانهم .

والمتعصبون من جميع الملل لا دين لهم فى واقع الأمر ولا يدينون
إلا بنفوسهم ولنفوسهم . . ورب كل واحد منهم هو نفسه وفكرته !
وهم وثنيون عباد أصنام . . وإنما هم قد استبدلوا أصنام الحجارة
بأصنام المذاهب .

وهم يقتلون بعضهم بعضاً فى أثيوبيا وعدن ، ويفعلون ما فعله الخوارج
والقرامطة بالأمس باسم الحق والدين . . والحق والدين منهم براء .
وقد تصور الخوارج أنهم مسلمون كما تصور منجستو وعصابته
أنهم مصلحون وأنهم أهل حق !

وإنما أهل الدين والحق هم أهل الحلم والسماحة والوداعة والصبر
والاعتدال وسعة الصدر وسعة الأفق وهم الذين يقولون :

(لا إكراه فى الدين) .

(فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر) .

(أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين) .

(وقل اعلموا فسيرى الله عملكم) .

(قل كل يعمل على شاكلته) .

(واصبر على ما يقولون واهجرهم هجرًا جميلاً) .

(قل الله ثم ذرهم فى خوضهم يلعبون) .

(لا يضركم من ضل إذا هتديتم) .

(لكم دينكم ولى دين) .

وعلامه اختراقك لنطاق الجاذبية الأرضية هو تخلصك من
أكذوبة اليسار الإسلامى

جميع التعصبات العمياء وتجاوزك واستعلاؤك على كل هذه الشهوات التي ذكرناها وخروجك من إسارها .

والدين لا يطلب منك أن تقتل شهواتك وإنما يكفي أن تحكمها ولا تدعها تحكمك !

والخروج من النفس في الإسلام لا يكون بقتل النفس بل بإحيائها .

وحياة النفوس بإخراجها من شرعيتها الحيوانية وتطويعها للشرعة الإلهية .

وذلك هو الخروج من نطاق الجاذبية الأرضية إلى فضاء الكون

حيث تنطلق النفس مثل السفينة الفضائية تسيرها القوانين الإلهية التي تسير الأفلاك وتحميها في رحلتها كما تحمي النجوم والمجرات .

وأسرع الناس خروجاً من نطاق الجاذبية الأرضية هم أهل الله

الذين يتخففون من أحمالهم وأثقالهم وألقوا بنفوسهم وراء ظهورهم

وتخلصوا من جميع الانبئات وخلعوا كل العبوديات ، وكسروا القيود

والسلاسل التي تقيدهم بجميع الأصنام والآلهة الوهمية . . وجعلوا

من لا إله إلا الله . . أنفاسهم ودقات قلوبهم وصحريهم ونومهم

وطعامهم وشرابهم .

والمؤمنين لا يعرف إلا صراطاً واحداً مستقيماً ليس فيه يمين

ولا يسار لأن الحق عنده واحد ، وليس على يمين الحق ولا على يساره

إلا الباطل .

ولم ينقسم الدين إلى فرق وانجهايات إلا بظهور الأهواء والمصالح

الشخصية ، وبظهور موجة التقليد للفلسفة الإغريقية ومذاهبها . . وإنما هو فرقة واحدة ومنهاج واحد وصراط واحد .

(وأن هذا صراطى مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن

سبيله) ١٥٣ - الأنعام .

(ولا تكونوا من المشركين من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً كل

حزب بما لديهم فرحون) ٣١ - ٣٢ الروم .

وقد انقسم النصارى بعد عيسى إلى بضعة وسبعين فرقة .

وانقسم المسلمون مثلهم .

وما قال عيسى ومحمد إلا شيئاً واحداً . . هو ما قاله الأنبياء

من قبل من آدم إلى إدريس إلى نوح إلى إبراهيم إلى يعقوب وإسحاق

وموسى وجميع رسل الله .

ولكن أهواء الأتباع وتحييزاتهم كانت تمحو وتثبت وتغير وتبدل

وتخوف .

وكلما طال على الناس الأمد وامتدت بهم سنوات الفترة أصاب

عقائدهم الفساد . . فعادوا الله الوحي وأنزل الرسول بعد الرسول :

ليصحح ما فسد . . حتى ختم الله بالنبي الخاتم وأعلن أنه سيحفظ

كتابه بنفسه :

(إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون) .

(ونمت كلمة ربك صدقاً وعدلاً لا مبدل لكلماته) .

وقال النبي الخاتم صلوات الله عليه لقومه : « ستتفرون من بعدى

بضعاً وسبعين فرقة كما تفرق الذين من قبلكم ولا تنجو من هذه الفرق إلا الفرقة التي تسير على قدى .

ومات النبي ، وتفرق المسلمون وراح يقتل بعضهم بعضاً كما تفرق النصارى وقتل بعضهم بعضاً كما يفعل الشيعيون اليوم أتباع نبي الوثنية فيقتلون بعضهم بعضاً . . وكل هؤلاء القتلة كانوا أهل أطماع وشهوات وأحقاد ومصالح . بعضهم تنكر في زى المسلمين وبعضهم في زى النصارى وبعضهم أسفر عن وجهه وقاتل لأهوائه جهاراً . . وكلهم إلى هلاك إلا أهل الصدق الذين استطاعوا الانفلات والانطلاق والخروج من نطاق الجاذبية الأرضية . . وجاذبية النفس . . وجاذبية الشهوات . وجاذبية المصالح وأغلال الزمان والمكان والمادة . . وتحرروا وطاروا في سماء القيم والمثل .

وكل واحد من القتلة الذين ذكرناهم كانت له دعوى عريضة بأنه من أهل الحق .

وكل الناس أصحاب دعاوى عريضة .

ولهذا اقتضى العدل الإلهي أن يخلق الله الدنيا لتفتضح الدعاوى وتظهر أسرار القلوب .. وجعل الله الدنيا حافلة بالزينة والمغريات ليجد فيها كل صاحب هوى ما يوافق هواه ولتمتد الأيدي فتكشف أصحابها ويعرف المسلم من المجرم .

والإسلام ليس بطاقة ولا وراثة .. والحق ليس دعوى وإنما هو قلب ومنهج حياة .

والامتحان قائم منذ الأزل . . والبلاء مستمر . ولا إعفاء لأحد .

والقليل القليل هم الذين يثبتون على الحق .

اطلبوا من الله السلامة .

وليستجمع كل منكم همته وعزمه ليخرج من قبضة الجاذبية المهلكة .

جاذبية الأرض والنفس والمصلحة والهوى والشهوة . . وسلطان الثالث المهلك الذي يهيمن على الشباب .

• صدر للمؤلف •

- ١ - الله والإنسان :
مجموعة مقالات كتبت في صيف ١٩٥٥ .
- ٢ - أكل عيش :
مجموعة قصص قصيرة كتبت بين ١٩٥٢ - ١٩٥٤ .
- ٣ - غنير ٧ :
مجموعة قصص قصيرة كتبت بين ١٩٥٥ - ١٩٥٧ .
- ٤ - شلة الأنس :
مجموعة قصص قصيرة كتبت بين ١٩٦٢ - ١٩٦٤ .
- ٥ - رائحة الدم :
مجموعة قصص قصيرة كتبت بين ١٩٦٥ - ١٩٦٦ .
- ٦ - إيليس :
دراسة كتبت في عام ١٩٥٧ - ١٩٥٨ .

- ١٦ - الخروج من التابوت :
رواية كتبت في أوائل عام ١٩٦٥ .
- ١٧ - رجل تحت الصفر :
رواية كتبت في عام ١٩٦٦ .
- ١٨ - الاسكتلر الأكبر :
مسرحية كتبت في صيف ١٩٦٣ .
- ١٩ - الزلزال :
مسرحية كتبت في صيف ١٩٦٣ .
- ٢٠ - الإنسان والظل :
مسرحية كتبت في عام ١٩٦٤ .
- ٢١ - غوما :
مسرحية كتبت في شتاء ١٩٦٨ .
- ٢٢ - الشيطان يسكن في بيتنا :
مسرحية كتبت في أبريل ١٩٧٣ .
- ٢٣ - الغابة :
رحلة إلى أفريقيا الاستوائية كتبت في أكتوبر ١٩٦٣ .
- ٢٤ - مغامرة في الصحراء :
رحلة إلى الصحراء الكبرى في صيف ١٩٦٩ .

- ٧ - لغز الموت :
دراسة كتبت في عام ١٩٥٨ - ١٩٥٩ .
- ٨ - لغز الحياة :
دراسة كتبت في عام ١٩٦٧ .
- ٩ - الأحلام :
دراسة كتبت في عام ١٩٦١ .
- ١٠ - أينشتين والنسبية :
دراسة كتبت في عام ١٩٦١ .
- ١١ - في الحب والحياة :
مجموعة مقالات كتبت بين ١٩٦١ - ١٩٦٦ .
- ١٢ - يوميات نص الليل :
مجموعة مقالات كتبت بين ١٩٦١ - ١٩٦٦ .
- ١٣ - المستحيل :
رواية كتبت في عام ١٩٦٠ .
- ١٤ - الأفيون :
رواية كتبت في عام ١٩٦٤ .
- ١٥ - العنكبوت :
رواية كتبت في أوائل عام ١٩٦٥ .

٢٥ - المدينة (أو حكايات مسافر) :

مجموعة سفرات إلى أوروبا بين ١٩٥٦ - ١٩٦٨ :

٢٦ - اعترفوا لي :

مختارات من رسائل القراء بين ١٩٥٦ - ١٩٥٩ :

٢٧ - ٥٥ مشكلة حب :

مختارات من رسائل القراء بين ١٩٦٠ - ١٩٦٦ :

٢٨ - اعترافات عشاق :

مختارات من رسائل القراء بين ١٩٥٦ - ١٩٦٦ :

٢٩ - القرآن محاولة لفهم عصري :

دراسة كتبت في شتاء ١٩٦٩ .

٣٠ - رحلتى من الشك إلى الإيمان :

دراسة كتبت في عام ١٩٧٠ .

٣١ - الطريق إلى الكعبة :

رحلة حج كتبت في عام ١٩٧١ .

٣٢ - الله :

دراسة كتبت في أوائل ١٩٧٢ :

٣٣ - التوبة :

دراسة كتبت في أوائل ١٩٧٢ .

٣٤ - الشيطان يحكم :

مجموعة مقالات كتبت بين ١٩٦٥ - ١٩٧٠ .

٣٥ - رأيت الله :

دراسة كتبت في صيف ١٩٧٣ .

٣٦ - الروح والجسد :

مجموعة مقالات كتبت في شتاء ١٩٧٣ .

٣٧ - حوار مع صديقي الملاح :

مجموعة مقالات كتبت في مارس ١٩٧٤ .

٣٨ - الماركسية والإسلام :

صدر عن دار المعارف في فبراير سنة ١٩٧٥ .

٣٩ - محمد :

صدر عن دار المعارف في يوليو ١٩٧٥ .

٤٠ - السر الأعظم :

صدر عن دار المعارف في ديسمبر ١٩٧٥ .

٤١ - الطوفان :

مجموعة قصص ومسرحيات قصيرة يناير ١٩٧٦ .

٤٢ - الأفيون :

سيناريو وحوار مارس ١٩٧٦ .

• مجموعات المؤلف الكاملة •

قصص مصطفى محمود :

صدرت في بيروت عام ١٩٧٢ .

روايات مصطفى محمود :

صدرت في بيروت عام ١٩٧٢ .

مسرحيات مصطفى محمود :

صدرت في بيروت عام ١٩٧٢ .

رحلات مصطفى محمود :

صدرت في بيروت عام ١٩٧٢ .

حازت رواية « رجل تحت الصفر » على جائزة الدولة لعام ١٩٧٠

• تحت الطبع •

المسيح الدجال :

رواية .

٤٣ - الوجود والعدم :

دراسة ١٩٧٧ .

٤٤ - من أسرار القرآن :

دراسة ١٩٧٧ .

٤٥ - لماذا رفضت الماركسية :

دراسة ١٩٧٦ .

٤٦ - نقطة الغليان :

مجموعة قصص قصيرة ١٩٧٧ .

٤٧ - عصر القروء :

دراسة كتبت في يناير ١٩٧٨ .

٤٨ - القرآن كائن حي :

دراسة كتبت في يناير ١٩٧٨ .

٤٩ - أكلوبة اليسار الإسلامي :

دراسة كتبت في أغسطس ١٩٧٨ .

٥٠ - ... :

... :

٥١ - ... :

... :